مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية
مجلد 40 – عدد 4 (2024): 69-80

Damascus University Journal of arts and humanities sciences Vol 40-No.4 (2024):69-80

النزعة السيزيفية في شعر مروان الخاطر

سليم عبد اللطيف العوّاك*[1]، رياض ديب العوابدة[2]

1* طالب دكتوراه باختصاص الشعر الحديث، كلية الآداب، جامعة دمشق.
Saleem.alawak@damascusuniversity.edu.sy

2 أستاذ بكليّة الآداب، باختصاص الأدب الحديث، كلية الآداب، جامعة دمشق.

الملخَّص:

تستهدفُ هذه الدراسة تناول ظاهرة النزعة السيزيفية في شعر مروان الخاطر، بوصفها ظاهرة فنية لها أثرها الواضح في أعمال الشاعر؛ وذلك لما حملته الأسطورة الإغريقية (أسطورة سيزيف) في لا وعي الشاعر من زخم دلالي ومضامين عميقة استفزَّت أعماقه فألهمته القدرة على تكثيف رؤيته الشعرية بصورة رمزية خاصة تستوعب أبعاد تجربته المعاصرة.

وتقوم هذه الدراسة على معالجة هذه الظاهرةِ الفنيّة في شعر مروان الخاطر بوصفها ظاهرة مستقلَّة لم يتم تحليلها ودراستها من قبل، يعاينها الباحث بمنهجٍ وصفيٍّ تحليليٍّ عن طريق الكشف عن الدلالات المتنوعة للنزعة السيزيفية ومعرفة آلية تمظهرها وكيفية توظيفها.

الكلمات المفتاحية: مروان الخاطر، النزعة السيزيفية، أسطورة سيزيف، التنوع الدلالي.

تاريخ الإيداع: 2023/11/14
تاريخ القبول: 2023/12/10

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

Sisyphism in the poetry of Marwan Khater

Saleem Abdullatef Al-Awak*[1], Read Depp Al-Awabdah[2]
1*PhD student in modern poetry-Faculty of Arts-University of Damascus.
Saleem.alawak@damascusuniversity.edu.sy
2 Professor at the Faculty of Arts - modern literature-Faculty of Arts-Damascus University.

Received: 14/11/2023
Accepted: 10/10/2023

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a
CC BY- NC-SA

Abstract:

This study aims to address the phenomenon of sisyphism in Marwan Al-Khater's poetry, as an artistic phenomenon that has a clear impact on the poet's works; because the Greek myth (the myth of Sisyphus) carried in the poet's subconscious a semantic momentum and deep contents that provoked his depths and inspired him the ability to intensify his poetic vision in a symbolic way that accommodates the dimensions of his contemporary experience.

This study is based on addressing this artistic phenomenon in Marwan Al-Khater's poetry as an independent phenomenon that has not been analyzed and studied before, the researcher examines it with a descriptive analytical approach by revealing the various connotations of sisyphism and knowing the mechanism of its manifestation and how to employ it.

Keywords: Marwan Khater, Sisyphism, the Myth of Sisyphus, SemanticDiversity.

المقدِّمة:

يعدُّ الشاعر (مروان الخاطر) من الشعراء البارزين في فضاء الشعر العربي السوري الحديث، ولد في منطقة البوكمال من محافظة دير الزور عام 1943، ودرس فيها إلى أن تخرَّج في دار المعلمين عام 1962، وعمل في مجال التعليم والإذاعة قارئًا للنصوص، ورئيسًا لدائرة البرامج الثقافية. نال عضوية اتِّحاد الكتَّاب العرب في سورية منذ عام 1970، وعضوية اتِّحاد الصحفيين منذ عام 1987.

تنتمي تجربة الخاطر الشعرية من حيث الزمن إلى مطالع الستينيات أثمر فيها على مدى ثلاثة وثلاثين عامًا ست مجموعات شعرية انصهرت فيها ذاته الخاصة بذاته العامة، وتغشَّتها مواقفه السياسية والاجتماعية المؤسسة بجلاءٍ على هواجسه وأفكاره (الخاطر، 2023م، صفحة الغلاف، 34)، إذ مرَّت الأمةُ بمخاض عسيرٍ من ظروف القهر السياسي والاجتماعي حمل الخاطر إبانها هموم وطنه وأمته وعايش رحلة عذابات العربي وانكساراته، مما ألجأه إلى الاستعانة بالأساطير الإغريقية وعلى وجه الخصوص أسطورة حامل الصخرة (سيزيف/ سيسوفوس Sisyphus) (شعرواي، 1982م، ص127–142)، التي مَثَّلَ بطلها رمزًا للمعاناة الأبدية وضياع الجهد المبذول في الحياة بدفع الصخرة مرارًا وتكرارًا إلى قمة الجبل أملاً بالتحرر والخلاص، يقول ألبير كامو واصفًا محاولات البطل الأسطوري اللا مجدية لنيل النجاح في الخلاص من مأساته برفع صخرته إلى قمة الجبل: "إنني أرى ذلك الرجل وهو يعودُ هابطًا إلى أسفل بخطوة ثقيلة، ولكنها منتظمة، نحو العذاب الذي لا يعرف نهايته. تلك الساعة، كالفضاء المتنفس، بالتأكيد، كيقين عذابه تلك هي ساعة إدراكه، وفي كل لحظة من هذه اللحظات التي يغادر فيها الذروة ويهبط تدريجيًا نحو مكمن وحوش الآلهة، يكون أسمى من مصيره. يكون أقوى من صخرته" (كامو، 1983م، ص140).

إنَّ هذا الحكم المأساوي الذي مُني به بطل الأسطورة الإغريقية (سيزيف)، لم يقف دلاليًّا عند الفيلسوف الفرنسي (ألبير كامو) بمرارة الخيبة والعذاب الأبدي، بل وجدَ أنَّ المواجهة والتحدي والحلم بالسعادة والخلاص، لهو الانتصار الحقُّ على هذا المصير المشؤوم، يقول: "إذ أين سيكون عذابه، حقًّا، إذا كان الأملُ في النجاح يرفعه في كلِّ خطوة؟" (كامو، 1983م، ص140).

استطاع الخاطر أن يوظف هذه الطروحات الفلسفية والفكرية التي حفلت بها الأسطورية الإغريقية بكامل حمولاتها الدلالية في تجربته الشعرية؛ إذ وجد فيها صدىً خاصًّا وحاجةً فنيةً ملحَّة، فقد وُجِدَتْ بعض الومضات الغائمة في لا وعيه في بعض معطيات الأسطورة الإغريقية صورتها الرمزية ودلالاتها الإنسانية والجمالية الخالدة التي تضيئها وتنقلها إلى الشعور (زايد، 1997م، ص176)؛ ومن ثم ينسجم والرؤى التي يريد إيصالها إلى المتلقي، في تعرية واقع الخيبة والانكسار المهيمن على الأمة العربية، وبثِّ الأمل في محاولة الخروج من هذه الصورة القاتمة، كلّ ذلك يصبُّ في دائرة ما يمكن أن يصطلح عليه بـ(النزعة السيزيفية).

التنوع الدلالي للنزعة السيزيفية في شعر مروان الخاطر:

حاول الخاطر في تجربته الشعرية أن يوظِّف الأسطورة الإغريقية بكامل صورها ودلالاتها المتعددة، لصياغة خطاب شعريٍّ قادر على حمل أبعاد اللحظة المعاصرة للإنسان العربي في صراعه المرير، وذلك استدعى من الشاعر تجاوز الدلالة الأساسية لبطل الأسطورة الإغريقية سيزيف، وهي دلالة اليأس والعذاب إلى دلالة الحلم والأمل فالمواجهة والنضال، لتأتي هذه الدراسة استجلاء لملامح هذه النزعة السيزيفية وتنوعها الدلالي في شعر مروان الخاطر.

1. دلالة اليأس والعذاب:

تزخر استدعاءات الشاعر للأسطورة الإغريقية بدلالة اليأس والعذاب الأبدي، فحين يستسلم الشاعر لوطأة واقعه وظروفه المؤلمة، تجد جذور السأمَ والكآبة من الحياة ضاربةً في روحه، وتصبح أشعاره نفثة مصدور لنفسه المملوءة بالأحزان، وذلك ما لمسناه عند الشاعر مروان الخاطر في قصيدته المعنونة بـ"قراءة في كتاب الغربة" (الخاطر، 2023م، ص198، 199)، وهو يخاطب زوجته بلسان ملتاعٍ، قد أنهكته الحياة وأطبقت عليه ظلماتها حتى التشاؤم، فأصبحت صورة اليأس والعذاب من مجتمعه وواقعه المر تراوده ليل نهار:

آتيكِ الآنْ
درني لا تغسلُهُ الأنهارُ،
عذابي قد لا يحملُه إنسانْ
لكني أحملُ فوقَ الحملِ، وذا
قدرُ المقهورينَ التعساءْ
ألأنَّا نولدُ في يومٍ فقراء
نتعذَّبُ طولَ العمر، نورِّثُ للأبناءْ
الفقرَ، وهذا الجرحْ
ونعلِّل أنفسنا بالصبحْ
من غير عناءْ
سرقوا شمسَ الفقراءْ

فالمقاربة الدلالية في قوله: (درني لا تغسلُهُ الأنهارُ/عذابي قد لا يحملُه إنسانْ)، واضحة ما بين حال بطل الأسطورة الإغريقية (سيزيف) في استسلامه لعذابه الأبدي، وحال الذات الشاعرة للخاطر، التي فقدت سبل العيش والقدرة على تغيير المصير، فباتت عاجزة عن التطهر من أدران الحياة وتحمل مشقَّاتها، وقد حاول الشاعر في مأساته إثارة وعي المتلقي ودفعه لاستكناه وتبصر حجم المعاناة، التي ربما تجاوزت في نظره معاناة صاحب الأسطورة سيزيف، وذلك بتوظيفه لحرفي الشكِّ والنفي في قوله: (عذابي قد لا يحملُه إنسانْ)، إذ أكسبا محنة الشاعر سمةً أسطورية قادرة على دفعه لتحمُّل مضاعفات الألم والعذاب في مجتمعه، مؤكِّدًا ذلك في قوله: (لكني أحملُ فوقَ الحملِ)، ليتأتَّى له بعد ذلك صهر (أناه) الفردية الشاعرة مع (أنا) مواطني شعبه البسطاء في بوتقة المعاناة الجمعية، في قوله: (نتعذَّبُ طولَ العمر/ نورِّثُ للأبناء الفقرَ/ نعلِّل أنفسنا بالصبحْ)؛ ليدلِّل على عمق إحساسه وانتمائه الوطني بمعاناة شعبه ومناصرته قوى التَّقدم والتحرر من جور أوجه الظلم والاستغلال المجتمعي، إذ سَرَّبت لديه شعور اليأس والعجز بالتَّصدي لها؛ مما دفعه لإطلاق صرخة الأديب الواعي لدوره، ففي قوله: (سرقوا شمسَ الفقراءْ)، بيانٌ لرؤية الخاطر الاشتراكية التي تنأى بصاحبها أن يقف موقف المتفرِّج في برجه العاجي، جراء ما يحدث في عالمه الحقيقي، وتدفعه للمضي قدمًا مع رفاقه الأدباء التَّقدميين من أجل النضال في سبيل تحقيق مبادئهم الاشتراكية التي آمنوا بها (الخطيب، 1972م، العدد، 122، ص44، 45).

ويزداد الحضور القوي لدلالة العذاب السيزيفي عند الخاطر بعد نكسة حزيران وأحداثها المرة، التي هزَّت الوجود العربي وأصابته بمرارة الخيبة والانكسار، يقول واصفًا وقع ذلك في قصيدته المعنونة بـ(دقائق الصمت) (الخاطر، 2023م، ص367، 368):

صديقي كيف تنعدمُ
دقائق دهرنا البلهاءْ
ونحنُ نسيرُ في تعبٍ،
نسيرُ لنحملَ التابوتَ،
يحملنا، فتنقصمُ
فواصلنا، وتشخصُ أعينُ الأحياءْ
تغيبُ، ولا يبوح فمٌ
فكم أوغلتُ وحدي في متاهتها
وذابَ على اللهيبِ دمُ
حصاني فرَّ منهزمًا بساحتها
وها أنذا أسيرُ، وكيفَ أنهزمُ
وفي الأعماق مني ..
صرخةُ الإنسانِ تغنيني
تحرِّكني، تمزِّقُ حزنيَ الكابي..
وتحييني

ينفتح النص الشعري هنا في بنياته الدلالية على السياق الديني ممثَّلاً بقصة تابوت بني إسرائيل، وما يرافقها من دلالات دينية تتفاعل مع بنيات النص الشعري؛ لتنتج دلالةً جديدةً مشوبةً بنزعةٍ سيزيفية، وموقفًا جديدًا من النص وزمنه وتاريخه. هذا الموقف يقومُ على نقد السائد كتابيًا وإيديولوجيًّا، وعلى نقد التاريخ والوعي والواقع (يقطين، 2001م، ص129)، وندرك ذلك عن طريق الدوال اللغوية التي تنتسب إلى قصة التابوت (الطبري، 2000م، ج5، ص315)، وتدلُّ على طبيعة العلاقة بين بني إسرائيل مع أنبيائهم في عصيانهم ومخالفة أوامرهم الإلهية، ومن هذه الدوال: (التابوت، المتاهة، اللهيبِ، الفرار)، والتي تشير إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 248]، وأيضًا مع قوله تعالى في عقابه بني إسرائيل عندما عصوا نبيهم وأبوا حرب الجبارين: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 26]، إلا أنَّ هذه الدوال تتضافر مع دوال أخرى لتعكس دلالتها الأصلية؛ فتنتج دلالةً جديدة ذات أبعاد معاصرة، تشفُّ عن رؤى الشاعر وتبوح بالمسكوت عنه، إذ انتقلت دالة (التابوت) من سياقها الديني الذي اقترن بالراحة والسكينة لما حواه من إرث أنبياء بني إسرائيل إلى سياق شعري أوسع، يصل إلى أعتاب الأسطورة الإغريقية، والتي تمتلك القدرة على التعبير العميق عن أوضاع الإنسان العربي في هذا العصر، والتوحيد بين التجربتين الذاتية والجماعية (عباس، 1978م، ص129، وأبو عسلي، 2022م، العدد، الرابع، ص210)، فقد تفاعلت هذه الدالة مع رؤية الشاعر المعاصرة لتعكس حالة العذاب النفسي والجسدي للشعب العربي، الذي دفن آماله وأحلامه

المصيرية في تابوت النكسة الحزيرانية، هذا التابوت الذي ربما وجده الشاعر أثقل من صخرة عذاب البطل الإغريقي (سيزيف)، إذ أسهمت أفعال الشاعر المقرونة بضمير الجماعة: (نحن نسير، يحملنا، تتقصم فواصلنا)، في الإبانة عن الغربة الجمعية، التي وحَّدت الشاعر مع شعبه، وكشفت مقدار الأسى والمعاناة، التي تحمَّلها هذا الشعب المقاوم من حمل تابوت الحلم الضائع، وهنا يكمن فارق العذاب مع حامل الصخرة (سيزيف)، فقد كان مصيره يخصه هو وصخرته هي شيئه هو، بحسب قول الأديب الفرنسي (ألبير كامو) (كامو، 1983م، ص143)، وفي انتقال الشاعر إلى(دالة المتاهة) مدعومة بصيغة ضمير التملك المتكررة في أكثر من موضع: (وحدي، حصاني، مني، تغنيني، تحركني، حزني، تحييني)، يضعنا أمام رسالة شعرية ذات مدلولين: مدلولٌ أول ينتمي في أصله إلى السياق الديني ويحيل إلى طبيعة العذاب ومدته الزمنية بالنسبة لبني إسرائيل، ومدلولٌ ثان يحيلُ على محنة سيزيف العصر/ الإنسان العربي، الذي يقف مصيره بحسب رؤية الخاطر على استيقاظ الإنسان الثوري في أعماقه القادر على مجابهة الانكسارات والأزمات، فهو يعرف تمامًا أنَّه أسيرٌ في عذابه اللا مجدي؛ لكنَّه مُدركٌ لحقيقته المؤقتة، لذا جاء التعقيب الموحي باسم الاستفهام (كيف) في قوله: (وكيف أنهزمُ)، جوابًا لسؤاله الأول: (كيف تتعدمُ دقائق دهرنا البلهاء)، ولنسف عبثية عذابه بصرخة الذات الثائرة للشاعر النابعة من سوداوية واقعه: (وفي الأعماق مني../صرخة الإنسان تغنيني)، التي ربما وجدها أداةً فاعلة في تحريك المتلقي؛ لتجديد إيمانه بقضيته، ولإدراك حساسية المرحلة وصعوبتها الشائكة، التي يمرُّ بها الوطن العربي.

2. دلالة الحلم والأمل:

يتأسس الحلم في التجربة الشعرية للخاطر من إيمانه العميق بخلاص شعبه ووطنه من الأزمات المتلاحقة التي عصفت به، وحاولت زعزعة إرادة الإنسان العربي، فقد كان الحلم العربي دأب المفكرين والأدباء والباحثين على التمحيص في معطيات التاريخ والواقع؛ بحثًا عن حلٍّ للمأزق الوجودي الذي عاشته الأمة العربية في عصورها المختلفة (إسماعيل، 1991م، العدد339، ص 115)، والخاطر حمل في أشعاره عبء زرع الأمل والتفاؤل في روح المتلقي ودفعه للوعي الممكن بحلم التحرر والخلاص من الإخفاقات والعذابات الناجمة عن طبيعة المرحلة المعاصرة، كما هو دأب سيزيف في محنته، إذ وجد كامو في قراءته له أنَّ أمله في الخلاص يرفعه في كل خطوة في إدراكه لطبيعة عذابه، وأنَّ طريقه نحو القمة يتوِّج في لحظة عذابه حلم انتصاره (كامو، 1983م، ص140، 141)، يقول الخاطر في قصيدته المعنونة بـ(ما كلُّ عاقر موات) (الخاطر، 2023م، 359، 360):

أحسُّ في عيونكم يا إخوتي
حقيقةً تردُّ لي براءتي
تردُّ للسفينة الشراعَ، والنيامْ
تمنحهم ملامحَ الإنسان،
والوجه الذي يبينْ
من خللِ الضبابِ شعلةً من الضياءْ

نلاحظُ أنَّ الشاعر قد اعتمد في إضاءة دلالته الحلمية على تقنية (المونتاج السينمائي)، والتي تقوم على "ترتيب اللقطات المختلفة بحيث تُعطي مجتمعة معنى أو فكرة مخالفة لما تعطيه كل لقطة على حدة" (عجور، 2010م، ص243)، إذ منح فعل "الردِّ" المتلقي فرصةً لتبين معاني الحقيقة / الحلم العربي في لقطاته المتباينة، والتي تؤلف مجتمعة رؤية الشاعر والتأثير المطلوب الذي أراد إيصاله إلى المتلقي، فيبدأ تصوير أول هذه الاستردادات بمفردة البراءة المصحوبة بصيغة ضمير التملك "تردُّ لي براءتي"، ثم

يحيلُ المجرد إلى محسوس باسترداد السفينة شراعها "تردُّ للسفينة الشراعَ" والتي أراد بهذه اللقطات دلاليًّا التعبير عن واقع العربي المأزوم، الذي يتأمَّلُ لحظة إعلان صكَّ خلاصه، وتحقُّق حلمه المنتظر؛ وكذلك سيزيف الغارق في عذابه فهو يستمرُّ في سيره نحو القمة كالأعمى المتلهف إلى الرؤية مقتنعًا أنَّ شراع خلاصه يكمن عندها (كامو، 1983م، ص142)، ثم يواصل الخاطر بالطريقة نفسها، ولكن بلقطات مكثَّفة ومتسارعة، لإحداث التأثير المطلوب في المتلقي، إذ يقول (الخاطر، 2023م، ص359، 360):

فأسمعُ الصدى،
بداوةَ الصدى الحنونْ
تحرُّكَ السفينة الغضبى إلى الأمامْ
أحسُّ في عيونكم يا إخوتي
تفتُّحَ الحياةْ
نشورها،
وألفُ واحةٍ تودِّع السباتْ

يأتي المشهد الشعري هنا بلقطات عدة، سريعة الاصطدام بوعي المتلقي العربي، لتحفيزه ودفعه لمعالجة أزمة الذات العربية للشاعر وشعبه في الوقت نفسه، فلقطة "الصدى" ما هي إلا دلالة نفسية لانعكاس التكثيف السمعي إلى الزمن الماضي المزدهر، الذي يحيل إلى غربة الشاعر المكانية مرموزًا لها بـ"بداوةَ الصدى"، فهو الريفي البسيط الذي عاش مرارة الإخفاقات والآلام المعنوية في المدينة الحاضرة، لذلك وجد في استرجاع ذكريات هذا "الصدى الحنونْ"، ترياقًا يخفف من وطأة غربته المكانية ويعيده إلى واقع مدينته المضطرب بهيئة تقوى على مواجهة تقلُّباته المحبطة، وتتكرر لقطة "السفينة" بحدث جديد يكشف ملامح بطل الأسطورة الإغريقية/الإنسان العربي، وعاطفته المتَّقدة للنجاة والأمل بحياة جديدة، فهو "السفينة الغضبى"، التي تتحرك مدفوعة بقوة هذا الأمل للخروج من دوامة المأزق الوجودي التي فرضتها هذه المرحلة العسيرة من تاريخ الأمة العربية، وتتعاضد باقي اللقطات الشعرية بتوظيف الشاعر تقنية "مونتاج الفكرة المرددة المتكرر"[1] (عجور، 2010م، ص249)، إذ يصور ما يراه واعدًا في عيون رفاقه التَّقدميين من انبعاث جديد للحياة في شتَّى جوانبها، ابتداءً من "تفتُّحَ الحياةْ"، ومرورًا بـ"نشورها"، وانتهاءً بـ"ألفُ واحةٍ تودِّع السباتْ"؛ ليتأتَّى للمتلقي في مخيلته ترتيب هذه اللقطات مجتمعةً؛ فترْشحَ الدلالة النهائية في وعيه التي ارتضاها الشاعر من عنوان قصيدته "ما كلُّ عاقر موات"، بانتهاء الصراع والمعاناة والأمل بحياة جديدة يبعث الإنسان العربي على إثرها ليستردَّ ما كان أصلاً من حقِّه.

3. دلالة المواجهة والنضال:

تتبدَّى هذه الدلالة لأسطورة حامل الصخرة بحسب رؤية ألبير كامو في سعيه الدؤوب لتحدي الآلهة الإغريقية والنضال من أجل تغيير قدره بدافع عاطفته المتحمِّسة للحياة (كامو، 1983م، ص139)، إذ أفشى سرَّ (زيوس) في اختطافه ابنة (أسوبوس) إله الأنهار مقابل أن يجري الماء العذب وسط أراضي مملكته، كما أنه احتال على إله الموت واستطاع الفرار منه عندما جاء ليقبضَ روحه بأمر من شقيق زيوس إله العالم السفلي (هاديس)، ولم يكتفِ بذلك بل استطاع الهرب أيضًا من عالم الموتى بخداع (برسيفوني) زوجة (هاديس) والعودة إلى عالم الأحياء (شعراوي، 1982م، ص134–140)؛ فلا خيار آخر لديه إما النضال من

1– مونتاج الفكرة المرددة المتكرر: هو تكرار الشاعر مشهدًا معيَّنًا على طريقة السينمائي البصري، وليس بطريقة التكرار اللغوي.

أجل الحياة أو العذاب الأبدي في عالم الموتى، وهذا ما تجلَّى عند الخاطر في مقطع قصيدته المعنونة بـ(السِّرُّ في شجر الغرب) (الخاطر، 2023م، ص75)، إذ يقول مخاطبًا نهر الفرات العظيم:

ساقاكَ من غَرَبٍ، وبينهما الذي
يظميكَ، كيف تردُّ عن أهلي الظما؟!
كيف الظما وجد الطريق إليكَ، وكيف،
وأنتَ من قتلَ السَّغبْ؟
يا وارثَ الصَّبر الجميل أما تحنُّ إلى الغضبْ
لم يبقَ ما تخشى عليه، ومنهُ،
فالسِّحرُ انقلبْ
في وجهِ صاحبهِ،
إلامَ تظلُّ تحملُ صخرةً
والظهر منكَ قد انحدبْ!

حاول الخاطر في المقطع السابق أن يترجمَ عواطفه وانفعالاته بصورة حسِّية درامية تقترب من تقنية "المعادل الموضوعي"[2] (عناني، 2003م، ص52–55)، والتي تمثِّلُ بدورها صورةً مرآتيةً للبناء التحتي/النفسي للمبدع الذي يظهر عن طريق لغته الشعرية الخاصة؛ والتي تعدُّ بتشكيلاتها (القناع والرمز والأسطورة والعلامات والأساليب المختلفة في تشكيل الصورة الشعرية معادلات موضوعية)، مما تنطوي تحت راية المعادل الموضوعي (عز الدين الخطيب، 2003م، العدد483، ص168)، والمتأمِّلُ خطاب الشاعر لنهر الفرات يجده قد اتَّكأ على رمزيته الحيَّة في ذاكرة عاشقيه، ليكون معادلاً فاعلاً ورمزًا نابضًا يمدُّ جسور التواصل بين الشاعر ومجتمعه؛ فتتحوَّل القصيدة برمَّتها إلى كيانٍ فريد ينصهر فيه الذاتي الخاص في الموضوعي العام، ويتملَّكها الحس الدرامي، الذي يتَّسع لمعاناة الذات الجمعية، فيعبِّر عنها تعبيرًا شاملاً (لعكاشي، 2010م، ص9)، إذ جاء (الفرات) رمزًا مزدوج الدلالة، يشيرُ بشقِّها الأول إلى دلالةٍ مادية واقعية، تتعلَّق بهبوط منسوب النهر، والكثير من الخسائر المادية التي أصابت الاقتصاد السوري بعد افتتاح (سد أتاتورك) المُقام في تركيا عام (1990)م (عائب، 1996م، ص91–95)، وذلك تبدَّى في انتقاء الشاعر (شجر الغرب)[3] (عياش، 2007م، ج2، ص43) الفراتي دون غيره من أشجار الفرات؛ لمقاربة حال النهر بعد هذه الكارثة المؤلمة، في قوله: "ساقاكَ من غَربٍ"، إذ يتَّصف هذا الشجر بالنحول وشحوب اللون وهذا يتَّسق مع حال النهر بعدما أصبح شحيحًا بمائه "بينهما الذي يظميكَ"، لا يسُد حاجة أهله، وقد جاء التَّكرار في لفظ "الظما" لأسلوب الاستفهام الذي يحمل معنى التَّعجب في صيغة ضمير المخاطب؛ معززًا لهذه الدلالة في توليده الإحساس بالمفارقة لدى المتلقي، بين حال النهر سابقًا "وأنتَ من قتلَ السَّغبْ؟"، وما آلت إليه حاله البائسة لاحقًا في قول الشاعر: "كيف تردُّ عن أهلي الظما؟!"، وقوله: "كيف الظما وجد

2–المعادل الموضوعي: مصطلحٌ نقدي يشير إلى طريقة في التَّعبير عن المشاعر فنيًّا بإيجاد موقفٍ أو سلسلةٍ من الأحداث والشخصيات التي تعدُّ (المقابل) المادي أو (الموضوعي) لتلك العاطفة.

3– الغَرَب: هو نوعٌ من شجر الحور، ينبتُ على ضفاف نهر الفرات وفي الجزر، تتَّصف بالطول والنحول والتَّعرُّج، جذورها تمتدُّ إلى مسافات طويلة تحت الأرض.

الطريق إليكَ"، ويشفُّ الشقُّ الثاني عن (الفرات) بدلالة رمزية تنمُّ عن المواجهة والنضال في وجه الأطماع السافرة لتركيا وحلفائها في خيرات الأراضي السورية؛ فالخاطر قد طوَّعَ عدة محرِّضات أسلوبية (معادلات موضوعية)؛ خدمةً لهذه الدلالة الثوريّة، التي أرادها جذوةً تصطلي فيها ذاكرة المتلقي؛ لتستعيد زهوة المواجهة والنصر الجليل، وتجلَّى ذلك بدايةً في توظيفه نداءً واستفهامًا موجَّهًا إلى نهر الفرات/الإنسان السوري بشكل خاص والعربي بشكل عام، فالخطاب في ظاهره يشير بدلالته الصريحة إلى ظاهرة راسخة في ذاكرة الإنسان الفراتي، تتعلق بتشوُّق الشاعر إلى أيَّام جبروت نهر الفرات وشدَّة فيضانه الطاغي قبل تحجيم منسوبه ببناء السدِّ التركي، أمَّا الدلالة الضمنية فهي التي تستحثُّ القارئ على تقصي مواضع البؤر الدلالية تحت سطح الدلالة الصريحة؛ لتنتج ما يسمى بحركية القراءة التأويلية في النص الشعري؛ إذ أراد الشاعر لدلالة فورة النهر وغضبه أن تصل المتلقي عن طريق الأساليب الإنشائية؛ لتنبيهه إلى ضرورة تدارك الموقف الآني، ومجابهة العدو المتربص بمقدَّرات البلاد؛ لذا جاء النداء بانفعال عال لذات الخاطر الشاعرة بخطورة الواقع المتأزم، الذي يحتاج يقينًا راسخًا كيقين الأنبياء بزوال ابتلاءاتهم بعد الصبر وتحمُّل المشقَّة، ثم يأتي الاستفهام في سياق الإقناع وتقرير الرسالة في ذهن المخاطب، واستخدام الشاعر مفردة "الغضب" مسبوقة بالفعل "تحنُّ"، يحيل المتلقي دلاليًّا إلى أيام مجد الأمة العربية وانتصاراتها، ويمنحه شحنة أكبر قدر من التَّحريض والاستنهاض والإرادة للثورة والغضب كغضب الفرات في أوج فيضانه، ثم يعمِق هذه الدلالة باستدعائه المثل الشعبي: (انقلب السحر على الساحر) (عمر، 2008م، ج2، ص1041)، للاقتراب من الذهنية العامة لفئات مجتمعه، فهو يُلمح عن طريقه إلى الثورة العربية الكبرى عام 1916، عندما أراد المعتدي التركي كسر إرادة الشعب العربي وزرع الخوف بداخلهم (المعلم، 2016م، ص52–61)، لكنَّ السحر انقلب على الساحر حينما بالغ في إيذائهم حتى لم يُبق لديهم شيئًا ليخسروه، ولا يوجد ما هو أخطر من مواجهتك لإنسان ليس لديه ما يخسره، وهكذا يسلِّمنا الشاعر إلى معادلٍ موضوعي آخر أقوى وأبلغ في نفس المتلقي، إذ يربط بلاغه الأخير عن طريق الاستفهام التَّوبيخي المحمَّل شيئًا من العتاب التَّحريضي في قوله: (إلامَ تظلُّ تحملُ صخرةً)، بعذاب حامل الصخرة (سيزيف)؛ التماسًا لحاجة ذات الخاطر المترقِّبة زوال صخرة الإحباط والعجز عن كاهل سيزيف/ الإنسان العربي فليس أمامه سوى المواجهة والنضال لحلِّ الأزمات وقلب كفة المحنة والعذاب.

الخاتمة:

توصَّل البحثُ في نهايته إلى جملةٍ من النتائج التي تتمثَّلُ في الآتي:

1. أثر الأسطورة الإغريقية (أسطورة سيزيف) في تجربة الخاطر الشعرية، ونجاح الشاعر في توظيفها دلاليًّا؛ للتعبير عن رؤيته الشعرية، ومواقفه الفكرية بصورة أكثر جدَّةً وعمقًا وجمالية من الناحية الفنية.

2. التَّنوع الدلالي للنزعة السيزيفية عند الشاعر مروان الخاطر؛ وإن دلَّ هذا على شيء فهو قدرة الشاعر على هضم الأسطورة الإغريقية (أسطورة سيزيف) في خطابه الشعري برؤية جديدة قادرة على استيعاب القضايا المعاصرة التي يعالجها.

3. حضور النزعة السيزيفة في معظم مجموعات الخاطر الشعرية وخصوصًا في المجموعة الثالثة الصادرة عام 1970م، وهي المجموعة الحزيرانية بجدارة؛ إذ جسَّدت جرح الأمة العربية ومحنتها العسيرة من واقع الضعف والهزيمة بعد نكسة عام 1967م؛ فجاءت (دلالة العذاب) مهيمنةً في ثناياها في أكثر من موضعٍ، نذكر منها على سبيل التدليل عن طريق عناوين القصائد التي اكتنفتها، وموضعها من الأعمال الشعرية:

عنوان القصيدة	موضعها من الأعمال الشعرية

السر في شجر الغرب	75–73
أصوات في سمع الزمن المقهور	345–337
الفارس الذي انطلق	354–346
ما كل عاقر موات	360–355
خيول الفتح	376–372
مدينة الزوابع	381–377
أبو زيد السُّروجي	384–382

4. تعاضد الدلالات المتنوعة للنزعة السيزيفية عند الشاعر مع عدد من الأساليب والتقنيات الشعرية؛ رغبة منه في التعبير عن عمق انتمائه لأمته وشعبه أولاً، وكشف الحقيقة في تعرية واقعه المأزوم ثانيًا.

5. استعانة الشاعر بدلالتي الحلم والنضال منحته القدرة على التأثير في المتلقي، بتحويل رحلة بؤس الإنسان العربي وعذابه الوجودي إلى أملٍ يتيح له استشراف الحلم العربي والمستقبل المشرق للأمة العربية.

التمويل:

هذا البحث مموَّل من قبل جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1. أبو عسلي، برهان، (2022م): نماذج من توظيف الأسطورة الإغريقية واستلهامها في شعر سميح القاسم، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، المجلد38، العدد الرابع، 188-215.
2. إسماعيل، يوسف، (1991م): الحلم العربي "دراسة في الأدب الشعبي" سيرة الأميرة ذات الهمة أنموذجًا، مجلة المعرفة، العدد339، كانون الأول (ديسمبر)، 114-143.
3. الخاطر، مروان، (2023م): الأعمال الشعرية الكاملة، دار دلمون الجديدة للطباعة والنشر، 598.
4. الخطيب، حسام، (1972م): الواقعية الاشتراكية نظرة وموقفًا، مجلة المعرفة، العدد122، نيسان(أبريل)، 39-52.
5. زايد، علي عشري، (1997م)، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، 323.
6. شعراوي، عبد المعطي، (1982م): أساطير إغريقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج442/1.
7. الطبري، محمد بن جرير، (2000م)، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، ج5، 457.
8. عائب، حبيب، (1996م): المياه في الشرق الأوسط: الجغرافيا السياسية للموارد والنزاعات، مؤسسة الأهرام ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، 183.
9. عباس، إحسان:(1978م)، اتِّجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، 229.
10. عجور، محمد، (2010م): التقنيات السينمائية والدرامية في البناء الشعري المعاصر، دائرة الثقافة والإعلام، 380.
11. عز الدين الخطيب، علي، (2003م): مرآة الذات – دراسة لبنية المعادل الموضوعي في قصص لطفية الدليمي، مجلة معرفة، العدد483، كانون الأول (ديسمبر)، 168-178.
12. عمر، أحمد مختار، (2008م): معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ج1658/2.
13. عناني، محمد، (2003م): المصطلحات الأدبية الحديثة – دراسة ومعجم إنكليزي-عربي، ط3، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، 158.
14. عياش، عبد القادر، (2007م): من التراث الشعبي الفراتي، منشورات وزارة الثقافة، ج205/2.
15. كامو، ألبير، (1983م): أسطورة سيزيف، ترجمة: أنيس زكي حسن، دار مكتبة الحياة، 159.
16. لعكاشي، عزيز، (2010م)، مستويات الأداء الدرامي عند رواد شعر التفعيلة، عالم الكتب الحديث، 156.
17. المعلم، وليد: (2016م): سورية 1916 – 1946م (الطريق إلى الحرية)، ط1، منشورات الهيئة العامة للكتاب، 702.
18. يقطين، سعيد، (2001م): انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، ط2، المركز الثقافي العربي، 159.